قصص الأنبياء

يوسف عليه السلام

على خزائن الأرض

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

يوسف (عليه السلام) على خزائن الأرض

خَرَجَ يُوسُفُ مِنَ السّجن بَعْدَ أنْ ظَهَرَتْ بَرَاءتِهِ وَأَصْبَحَ كبيراً للوزراءِ ، وَ المُتَصَرِّف في شُئونِ مِصْر. ومرَّتْ سَنَوَاتُ الخِصْب السَّبْع ، وَخلالِها علَّم يوسف الناس كيْفَ يدَّخرونَ الطَّعامَ، وَجَاءَتْ السَّنَوَاتُ المُجْدِبة، وَأصَابتْ المَجَاعةُ مِصْرَ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ البِلادِ، وَمِنْهَا فِلَسْطِين حَيْثُ يَعِيشُ يَعْقُوبُ وأولادُهُ ، وعَلِمَ الناس أنَّ الطعامَ يُوجَدُ فِي مِصْر ، فأرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ إلى مِصْر لِشِرَاءِ الطَّعَامَ ...

جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُف مِصْرَ، دَخَلُوا عَلَى يُوسُف فتذكَّرَهُمْ- لأنَّ حَالَهُمْ لَمْ يَتَغَيَّرْ- أمَّا هم فلمْ يَعْرِفُوه؛ لمْ يَتَوَقَّعُوا أنْ يُشَاهِدُوهُ بَعْدَما ألقُوهُ في البِئْرِ.

قالوا له :يَا عَزِيز مِصْر، لَقَدْ أَصَابَنَا الجُوعُ؛ فَجِئْنَا نَشْتَرِي طَعَامًا لَنَا ولأَخِينَا، فَقَدْ تَرَكْنَاهُ مَعَ أَبِينَا فِي بِلادِنَا.

فَأَعْطَاهُمْ لكلِّ واحدٍ حِمْلَ بَعير، وَقَالَ: إِذَا أَتَيْتُمْ الْعَامَ القادِمَ فلابد أنْ تَأْتُونِي بأَخِيكُمْ؛ لِيَأْخُذَ مِثْلَكُمْ، وإلاّ فلن أعْطِيكُمْ طَعَامًا، قَالَ الإِخْوَةُ: سنُحَاولُ إقنَاعَ أبيهِ، ثم إنَّ يُوسُفَ أَمَرَ غِلْمَانَهُ بِردِّ بِضَاعةِ إِخْوَتِهِ فِي أَمْتعَتِهِمْ سِرًّا؛ لِيَعُودُوا مرَّةً

أُخْرَى. عَادَ الإِخْوَةُ لأبِيهِم؛ قالوا: إنَّ عَزِيزَ مِصْر قدْ مَنَعَنَا مِنَ الدُّخولِ لِبِلادِهِ العَام القادم إلا إِذَا ذَهَبَ مَعَنَا أَخَانَا «بنيامين».

قَالَ يَعْقُوبُ: كَيْفَ آمنكُمْ عَلَيْهِ وَقَدْ ضَيَّعْتُمْ أَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلٍ؟!

ذَهَبَ الأبنَاءُ، وَلمَّا فَتَحُوا أمْتِعَتَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ كَمَا هِيَّ قَدْ رَدَّهَا عزيزُ مِصْرَ إليْهِمْ ، فَعَادُوا لأبيهِمْ، وَقَالُوا: لَقَدْ رَدَّ عزيزُ مِصْرَ ثَمَنَ بضاعتِنَا ، فأرسلْ مَعَنَا أَخَانَا ؛ حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَشْتَرِي طَعَامًا العامَ القادم، ونتعهدُ لكَ أنْ نَحفظُهُ وَنَرْعَاهُ، وَنَزدادُ حملَ بعيرٍ.

وافقَ يعقوبُ، وقال: لنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تَتَعهَّدُوا وتُقْسِمُوا باللهِ أنْ تَعُودُوا بِهِ مرَّةً أُخْرَى.

فقالوا: نُعَاهِدُكَ، وَنَحْلِفُ باللهِ أنْ نُحَافِظَ على أخِينَا.

ومرَّ العامُ ، وَرَجَعَ الإِخْوَةُ إلى مِصْر ، رَأَى يُوسُفُ «بنيامين» فَأَخَذَهُ- دُونَ عِلْم باقِ الإخوةِ، وقال له : أنا يُوسُف أَخُوكَ، فَلا تَحْزَن على مَا مَضَى، وإنِّي سأدبِّرُ حيلةً حَتَّى تَبْقَ مَعِي، فاكتم ذلك عن إخوتِكَ.

لمَّا حمَّل يُوسُفُ الطَّعامَ لإخوتِهِ وَضَعَ الإنَاءَ الخَاص بالملكِ فِي مَتَاع أَخِيهِ «بنيامين» دونَ أنْ يشعرَ أَحَدٌ.

ولمَّا همُّوا بالرحيلِ نادى منادٍ: أيَّتُها القافلة: إنَّكمْ لسَارِقُون.

رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُف، وَسَأَلُوا: مَا الَّذِي تَفْقَدُونَهُ ؟

أجاب المنادي: فَقَدْنَا إِنَاءَ المَلكِ الذِي نكيلُ بِهِ، وَمَنْ يجدْهُ يأْخُذْ حِمْل بعيرٍ مكافأةً.

ثم أخذهم إلى يُوسُف؛ ليحقق معهم. سَأَلَهُمْ يُوسُفُ:
أَنُكْرِمُكُمْ وَتَسْرِقُونَنَا؟!
أَجَابُوا : واللهِ مَا جِئْنَا لِنَسْرِقَ، أَوْ لِنُفْسِدَ فِي الأَرضِ.
قالَ يُوسُفُ : فَمَا العُقُوبَةُ لَوْ كُنْتُمْ كَاذِبِين؟
قالوا: مَنْ يُوجَد الإِنَاءُ فِي مَتَاعِهِ أَنْ يصيرَ عبدًا.
قالَ يُوسُفُ : هَا قَدْ حَكَمْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ .

أمرَ رِجَالَهُ بتفتيش أمْتعتهم ،

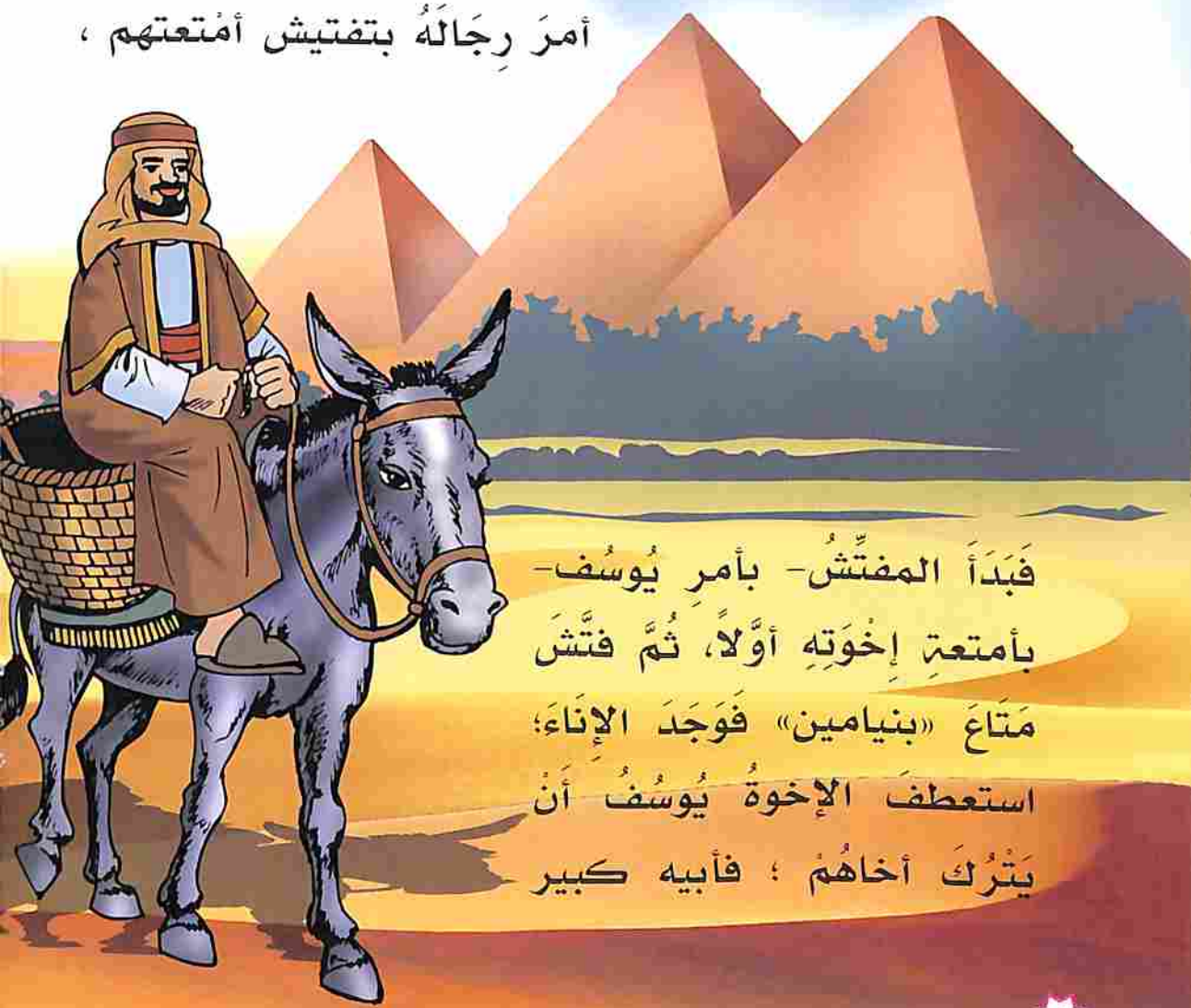

فَبَدَأَ المفتِّشُ- بأمرِ يُوسُف- بأمتعةِ إِخْوَتِهِ أَوَّلاً، ثُمَّ فتَّشَ مَتَاعَ «بنيامين» فَوَجَدَ الإِنَاءَ؛ استعطفَ الإِخوةُ يُوسُفُ أَنْ يَتْرُكَ أخاهُمْ ؛ فأبيه كبير

السنِّ، ولا يَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِهِ، وَخُذْ أحدَنَا بدلاً منْهُ، فَرَفَضَ يُوسُفُ طلبَهُمْ، وَأَخَذَ أَخَاهُ «بنيامين»، وَأَبْقَاهُ مَعَهُ، وَأَكْرَمَهُ، أمَّا باقِ الإخوةِ فإنهُمْ جَلَسُوا في حيرةٍ؛

قالَ أكبرُهُمْ : أبوكم قدْ أَخَذَ عليْكُم العَهْدَ مِن اللهِ أنْ نَعُودُ بـ «بنيامين»، لقد أخلفتُمْ العَهْدَ، وَفرَّطتُمْ فِيهِ كَمَا فرَّطتُمْ فِي يُوسُف مِنْ قَبْلِ.

سَألَ الإخْوَةُ: وَمَاذَا نَفْعَل؟

أجَابَهُمْ: لَنْ أَتْرُكَ هَذِهِ الأرضَ حتَّى يأذن لى أبي، أوْ يَحْكُمَ اللهُ فِي

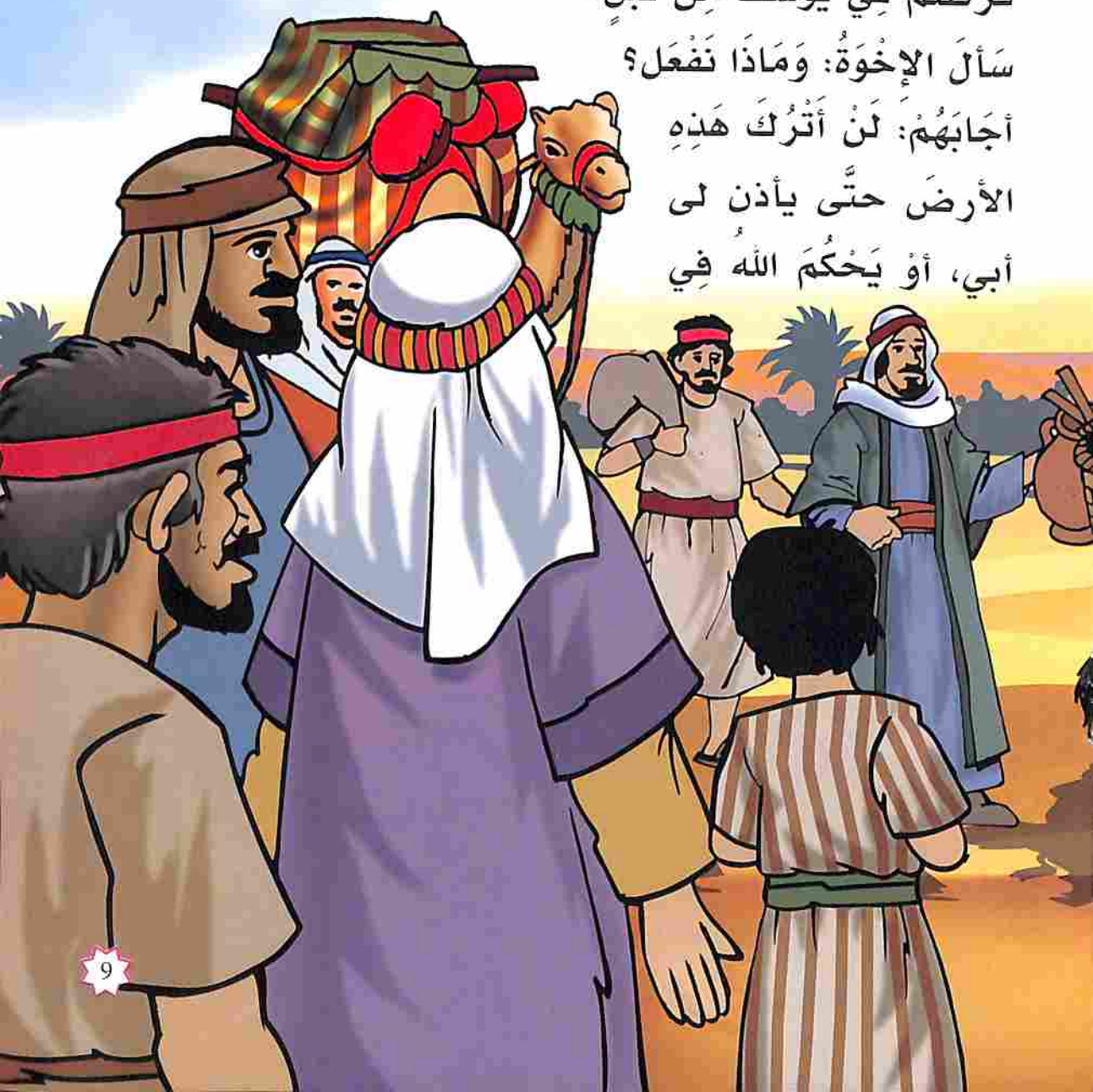

أَمري، أمَّا أنتم {ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} [يوسف: ٨١] وإنَّا قدْ رَأَيْنَا الإناءَ المَسْرُوقَ يَخْرُجُ مِن مَتَاعِهِ، وَإِذَا لَمْ تُصَدِّقْنَا فاسْأَلْ أهلَ القريةِ التِي كُنَّا فِيهَا، وَاسْأَلْ الْقَافِلَةَ التي جِئنَا فِيهَا.

وَرَجَعَ بَاقِ الإخوةِ لِفَلَسْطِين، وَقَالُوا لأبيهم هَذَا الكَلامَ فَقَالَ: «بنيامين» لمْ يَسْرِقْ؛ فالسرقة ليست من طِباعِهِ {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف: ٨٣]. ثم ابتعد يعقوب؛ وذكَّره فقْد «بنيامين» بيوسفَ، فَأَخَذَ يَبْكِي بشدَّةٍ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ.

قال يعقوب : يا بَنِيَّ ، عُودُوا لمِصْرَ، وَابْحَثُوا عَن يُوسُفَ وَأَخِيهِ، وَلَا تَيْأَسُوا من رحمةِ الله.

وَعَادَ الإخوةُ مرَّةً ثالثةً إلى مِصْر؛ دخلوا على يُوسُفَ

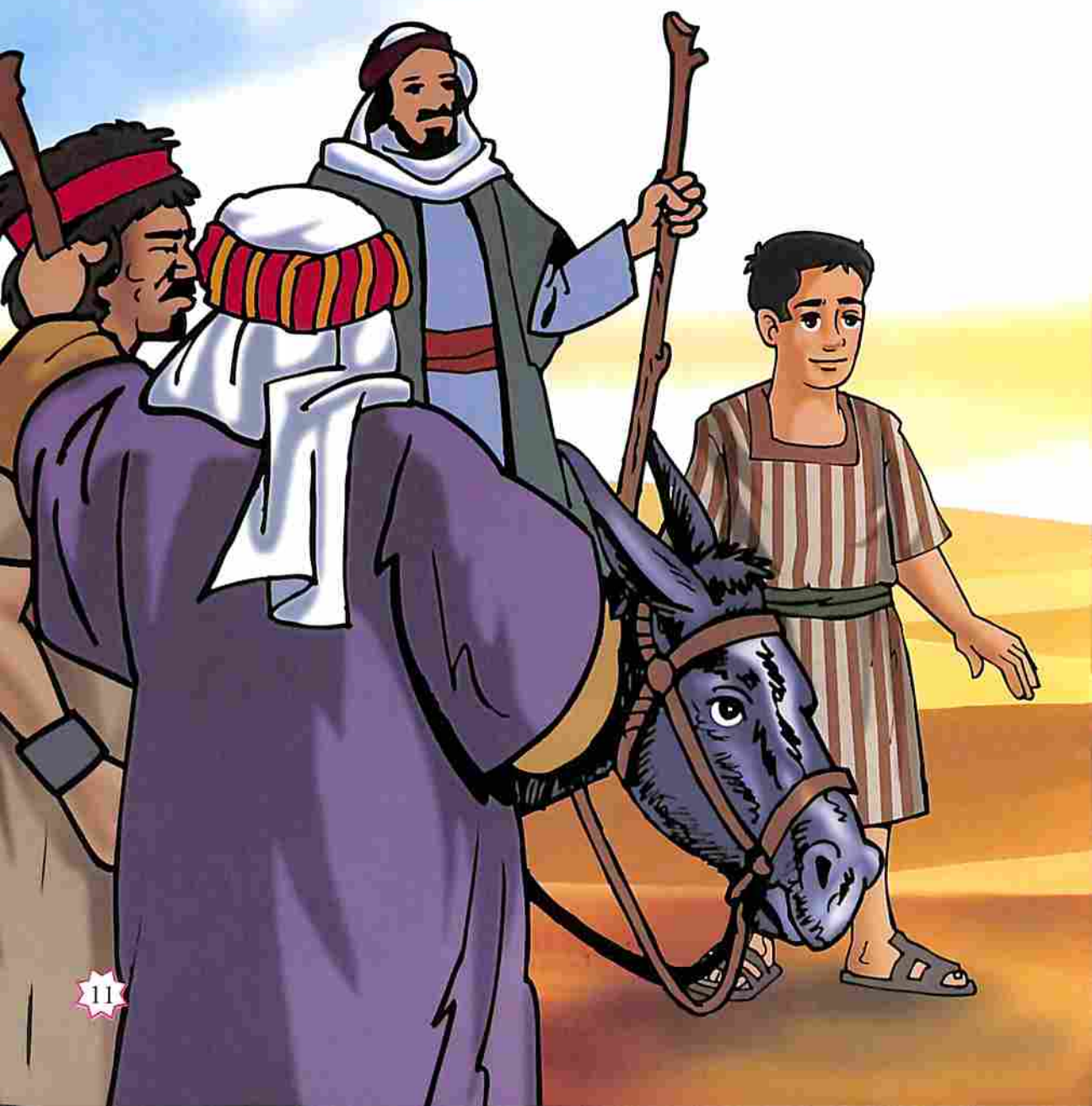

بائسين، وَكَلَّمُوهُ بِصَوتٍ خفيض: يَا أيُّهَا العزيز، أصابنا الضُّرُ والقَحْطُ، وَجِئْنَا هذه المرَّة ببضاعةٍ قليلةٍ ، فاعطنا {وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف : ٨٨]

نَظَرَ يُوسُفُ لإخوتِهِ فرأى ما هُمْ فِيهِ مِنْ بُؤسٍ وَفقرٍ؛ فرقَّ لهمْ ، وكشفَ عَنْ نَفْسِهِ قَائِلاً: أتذكرونَ مَا فعلتُمْ بيوسفَ وأخِيهِ إذْ فرَّقتم بينهما.

تَعَجَبَ الإخوة، وسألوا: هَلْ أَنْتَ يُوسُف ؟!

قال يوسف: {أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٩٠]

أدرَكَ الإخوةُ خطأَهُمْ، وطلبوا السماحَ مِنْ يُوسُفَ فسامحَهُمْ، وَعَلِمَ مِنْهُمْ أَحْوَالَ أبيهِ، وأنَّه فقَدَ بَصَرَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: خُذُوا قَمِيصِي هَذَا، وَأَلْقُوهُ عَلَى وَجهِ أَبِي يعودُ بصيراً بأمرِ اللهِ، ثمَّ تعالوا جميعًا إلَى مِصْرَ، وَخَرَجَ الإخوةُ بالقميص إلى فِلسْطِين، وَقَبْلَ أنْ يصِلُوا هبَّت ريحٌ أخذتْ رائحةُ القميص إلى يعقوب؛ فَقالَ لمن حولَهُ: إنِّي لأجدَ ريحَ يُوسُفَ، وأتوقَّعُ لقاءَهُ قريبًا، فقالوا له: أتظنّ أنَّ يُوسُفَ حيًّا إلى اليوم؟!

وَجَاءَ أبناءُهُ بالقميصِ وألقوْهُ عَلَى وجهِ يعقوب فعادَ إليهِ بَصَرُهُ بأمر اللهِ.

وَعَلِمَ بحالِ يُوسُفَ، وطلبَ الأبناءُ مِنْ أَبيهِمْ أَنْ يُسَامِحَهُمْ، وأنْ يَدْعُو اللهَ أنْ يَغْفِرَ لَهُمْ فَقَالَ يعقوبُ: {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يوسف: ٩٨].

عادَ الجميعُ إلى مِصْرَ فتلقَّاهُمْ يُوسُفُ، وَقَالَ لهم: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [يوسف: ٩٩] وأجْلَسَ أبويه على العرشِ - وهو الذي يجلسُ عليْهِ الملك-، وَسَجَدَ الأبوانِ وَالإخوةُ ليُوسُفَ سُجُودَ تحيّةً وَإِكْرَام. وعند ذلك قالَ يوسفُ : يَا أَبَتِ، هَذَا تفسيرُ الرؤيةِ التي رأيتُهَا وَأَنَا صَغِير حقَّقها ربي وأخرَجَنِي مِنَ السِّجنِ وَجَعَلَنِي حاكمًا فِي مِصْرَ، وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ.

وَعَاشَ يَعْقُوبُ، وأبنَاؤُهُ فِي مِصْرَ ينعمونَ بخيراتِها إلى أنْ حضرَهُ الموتُ، فَجَمَعَ أبْنَاءَهُ حَوْلَهُ، وَسَأَلَهُمْ: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي) [البقرة: ١٣٣]

أجاب الأبناء جميعًا: (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقرة: ١٣٣]

وَمَاتَ يَعْقُوبُ مُطمئنًا على أبناءِهِ، وَدُفِنَ يعقوبُ فِي فلسطين بلادهم الأصلية بجوارِ إبراهيم الخليل.

وعاشَ يُوسُفُ فِي مِصْرَ يَدْعُو إِلى اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ » رواه البخاري والإمام أحمد

المركز العربى الحديث
103 شارع الإمام على ميدان الإسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس: 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com